

معركة غطاء الرأس (الحجاب) بين المداهنة والمفاصلة

روت الدكتورة مارنيا أزرق في كتاب "فصاحة الصمت"؛ "خرجت أمس تظاهرة لتأييد استمرار بقاء القوات الأجنبية والماعتراف بفضلها في تطور البلاد، اختلط الرجال بالنساء خلال التظاهرة. وكان هناك رجال من القوات الأجنبية، ومعهم زوجاتهم، وتضامنت الزوجات مع نساء البلد، وهتفن كلهن للحرية والتحرر. وتقدمت النساء الأجنبيات، ونزهن الحجاب من على رؤوس بعض نساء البلد، وسط هتافات الجانيين". كانت هذه مظاهرة في يوم 16 أيار/مايو 1958، في الجزائر. وقد رتب التظاهرة يومها، قائد القوات الفرنسية هناك، بالتعاون مع فرنسيين استوطنوا في الجزائر (خلال استعمار استمر 130 سنة). استحضرت هذه الرواية خلال متابعة الضجة الإعلامية حول ظهور بعض المسلمات بالحجاب (غطاء الرأس) في مواقع ومناظر مناقية لفكرة وغرض الحجاب .

وضعت مجلة "وومنز رنج" صورة عداءة مسلمة مرتدية غطاء الرأس على غلاف المجلة المتخصصة في اللياقة البدنية لتصبح أول (محجبة) تظهر على غلاف مجلة رياضية في الولايات المتحدة الأمريكية. وسارت عارضات الأزياء على مدرج أسبوع نيويورك للموضة وهن يرتدين غطاء الرأس لتكون المرة الأولى التي يخصص فيها الملتقى عرضاً خاصاً لأزياء (المحجبات) وتابعت الأناظر حشداً من المختبرات المائلات المميلات على المدرج الشهير. ثم تبع هذا خبر ظهور صحفية أمريكية مسلمة وتغطي رأسها في مقابلة مع مجلة إباحية مشهورة، وأطلت على غلاف المجلة الإباحية بخمارها مرتدية سترة جلدية وبنطالاً. وعبرت المذيعة المسلمة عن فخرها بالظهور في هذه المجلة بينما صفق لها البعض واعتبروه إنجازاً تاريخياً وهنأوها على شجاعتها حيث "وصلت إلى ما لم تصل له مسلمة محجبة من قبل". احتفلوا بكونها فرضت (الحجاب) في وسط إباحي وتحدثت عن العفة في مجلة تعتبر ماركة مسجلة للزينة وامتهان المرأة .

ويذكرنا هذا الظهور الإعلامي الغريب بالرغبة الجامحة لدى بعض المسلمات في المسباحة والجلوس على المشاطى وترجمة هذه الرغبة لفكرة "البيوركي" واعتبار هذا الذي طوق نجاة للمرأة يمكنها من مزاوله نشاط لطالما حرمت منه! (روجوا له بالرغم من كون المزي بعيداً كل البعد عن المزي الشرعي للمسلمة وتجاهلوا حرمة وجود المسلمة في شواطى ومسابح تظهر فيها العورات). كما يذكرنا بالتغطية الإعلامية المكثفة للمنافسات الرياضية النسائية (وإن كانت مناقية لطبيعة المرأة مثل المصارعة ورفع الأثقال) أو (الحجاب العصري) المتبرج الذي هو أقرب ما يكون إلى "المزي المتكبري"... يكون نتاج صراع طويل أمام المرأة بينما يريده الناس ولم يأمر به رب الناس! ترتديه بعض المسلمات لتختفي في زحمة المدن وتندال الرضا عسى أن تلين عقول وقلوب كارهية للإسلام وأهله ويقبل المجتمع بهن. وكلما ازدادت وتيرة الإسلامفوبيا نجد بعض المسلمات يصرخن في كل محفل "ها أنا ذا أشارك" في وجه مجتمع غربي يريد لهن العزلة والتهميش .

هذه "الإنجازات" التي تدعيها بعض المسلمات وما يبدنه من رغبة في مجارة التيار العام في المجتمعات الغربية "The mainstream

"، ما هي إلا ردة فعل لتركيك الإعلام الغربي على وضعية المرأة المسلمة وكونها مضطهدة ولما إرادة لها، وهذا الخطاب الإعلامي الذي يتسم بالإسلامفوبيا ليس إلا استمراراً للخطاب الاستعماري الذي ارتكز على نعت زي المرأة المسلمة ومكانتها في المجتمع بالدونية لأهداف سياسية. ولطالما شكلت مسألة مكانة المسلمة في المجتمع (من ضمن جملة من القضايا) مرتكزاً لدعاء المتفوق الأخلاقي الذي يبرر فعل الاستعمار في مجتمعات غربية تدعي الحرية والمليبرالية

ولما شك أن الإسلامفوبيا (رفض الشريعة) هي التي جعلت من حظر البيوركي قضية خلافية ناصرها البعض مثل رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس حين أدرج البيوركي ضمن منظومة "استعباد المرأة"؛ بينما هاجم ساسة آخرون قرار المحظر بحجة أنه حجر على الحرية الشخصية ووصاية على المرأة المسلمة. اختلفوا في حظر البيوركي ووقفوا صفاً واحداً كتحرريين ونسويات ويمينيين ويساريين أمام حظر اللباس الشرعي في فرنسا وغيرها، وهب طابور المليبريين في بلادنا يدافعون عن البيوركي من باب حماية الحرية الشخصية وليس من باب الدفاع عن الإسلام وأهله. "يُخَدَعُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"

ومن عجائب الأمور أن يرد البعض على مزاعم الإعلام الغربي والمستشرقين من قبله بأن اللباس الشرعي يعزل المسلمات عن المجتمع عبر تغيير مظهر اللباس والاختلاط بالرجال ونبت قيم الحياء والعفة بدلاً من توظيف هذا الرفض للباس الشرعي كحجة دامغة تكشف عوار هذه المجتمعات التي تتشدد بالحرية والمليبرالية تعزل المسلمة الملتزمة باللباس الشرعي (والمُنقبة عزلتها

أعظم)... يدعون حماية الحريات فإذا بهم يترجمون الحرية الشخصية لحرية المعري، وحرية التعبير للحق في الإهانة والتطاول على مقدسات المسلمين وحرية الملكية للحرية في السرقة ونهب أموال كل مستضعف .

ولماذا تظن المسلمة أن المجتمع المضيف سيتقبلها إذا ما تنصلت من الرزي التشريعي الكامل وأضافت المساحيق على وجهها وواكبت إملاءات أرباب دور الأزياء في وقت ترى فيه تلك المجتمعات ترفض السود بينهم وتهمشهم وتهدر كراماتهم وأرواحهم وهم على دينهم ونمط حياتهم؟! ألم يروا الاحتقان في مدينة "شارلوت" و"شارلوت" بعد مقتل رجل أسود وتحول المدينة لثكنة عسكرية؟ ألم يتابعوا حملة "حياة السود مهمة" وصرخة المرأة السوداء في أمريكا أنها لن تنعم بالسلام وحياة أولادها مهددة؟ !

نلاحظ أن أقصى طموح هذه الفئة المغيبة أن يقبل المجتمع الغربي بالذبي الإسلامي وبعض شعائر الإسلام. ولكن هيهات فهم يسعون لهذا التواجد مع صعود اليمين المتطرف وتبني التيار السياسي العام في البلاد الغربية للخطاب العنصري ومعاداة المهاجرين بشكل عام والمسلمين على وجه الخصوص. إنهم يسعون لمداينة مجتمع يعاني من أزمة وصراع حقيقي مع جاليات مسلمة ترفض الانصهار وتصر على الالتزام بمفاهيم الإسلام والرزي التشريعي كأصل أصيل غير قابل للانفصال. ستخرج بين فينة وأخرى من تدعي أنها اخترقت الحدود ووصلت لما لم تصل إليه مسلمة من قبل ولكنها لن تنال الرضا والقبول حتى تتبع ملتهم !

إن محاولات عصرنة الرزي التشريعي للمسلمة باطل زهوق يراد به باطل، وهو أبعد ما يكون عن التميز وأقرب ما يكون للتبعية وترسخ هيمنة الثقافة الغربية كثقافة "غالبية"؛ إنها مبادرة تهدف إلى تذيب المسلمين في المجتمعات الغربية بدلًا من مواجهة زيف الحضارة الغربية التي ادعت أنها تستوعب كل الثقافات وتحترم دولة القانون. هذا اللباس المعصري والمظهر الإعلامي للباس المنسوب زوراً للرزي التشريعي والتبرج المصارع لن يدحض التنميظ الغربي للمرأة المسلمة بل على العكس سيركز الصورة التي رسمها المستشرق للمرأة الشرقية التي لم ير في المسلمة سوى جسد وسلعة وكل ما هو بذيء ومنحط .

إن مجرد وجود المسلمة في التيار العام وظهور غطاء الرأس على شاشات التلفاز وفي نشرات الأخبار وأغلفة المجلات ليس بإنجاز أو معيار للنجاح، ومن يتخذ هذه الأعمال كإنجاز فهو يقيس الأمور بمقياس دنيوي بحث ويختصر فكره في واقع قابل للتغيير ويسعى للوصول أفراداً لا أن يصل الإسلام، يريد بأعماله زخرف الحياة الدنيا ويبيع الآخرة بدنياً فانية ذليلة. «كنا بل تحبون ال عجلة * وتذرون الآخرة» .

بات السعي للانصهار والقبول أفيون بعض المسلمين، تخبيهم لذة اللحظات القليلة والمكتسبات الضئيلة عن حقيقة الواقع ويسعون للانصهار بأي تكلفة في مجتمعات قامت على الاستعمار في الخارج والتمييز في الداخل. إن مثل هذه المبادرات التي يروج لها تعمل على دعم مشروع محاربة الشريعة وستزيد من غربة وهزلة المسلمة الملتزمة بأحكام الشرع في المجتمعات الليبرالية. المرأة المسلمة لم ترتد الرزي التشريعي من باب الحرية الشخصية أو اتباع أهواء البشر بل التزاماً وتقيداً بالحكم الشرعي، وهذا الحكم الشرعي ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان. وحيثما وجدت المسلمة بزيتها الشرعي وعبوديتها لخالق الكون والإنسان والحياة ستمثل غصة في حلق أعداء الشريعة يعضون أصابعهم من الغيظ وهم يرون ثبات المسلمة وعفتها وطهارتها .

لا بد من مناهضة هذا المد السام الذي يعمل بين المسلمات لتليين أحكام الإسلام وتطويرها لقيم المجتمعات الليبرالية الاستعمارية التي أهدرت كرامة المرأة وأذلته. ولما بد من لفظ هذا التيار الذي يسعى للوجود والمظهر بأي ثمن ويسعى لأن يكون أفراده قدوة لبنات المسلمين في الشرق وفي الغرب بينما يعاني مشاهيرهم من مرض نفسي مستعصٍ وهوس بالقبول ونيل رضا الناس. يسعون للقبول بينما يتعمق في الأمة في أصقاع الأرض الشعور بالغربة ويغيب عنهم مدلولات حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» .

نسأل الله أن نكون وإياكم من الغرباء ممن لهم طوبى وحسن مأب... ونسأله عز وجل أن لا تطول غربتنا وغربة إسلامنا العظيم وأن نكون ممن بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفعة والسنا والدين والنصر والتمكين في الأرض. وما ذلك على الله بعزيز .

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا لَكَانُوا يَعْمَلُونَ»
كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

هدى محمد (أم يحيى)